

**ابرز المظاهر العمرانية في الاندلس
في عصر الخلافة
(٣٠٠ هـ - ٤٢٢ هـ)**

**أ.م.د. عمار لييد ابراهيم
كلية الآداب / الجامعة العراقية**

تمهيد

المراد بلفظ الاندلس اسبانيا الاسلامية بصفة عامة . اطلق هذا اللفظ في بادئ الامر على شبه جزيرة ايبيريا كلها ، على اعتبار انها كانت جميعها في يد المسلمين . ثم اخذ لفظ الاندلس يقل مدلوله الجغرافي شيئاً فشيئاً تبعاً للوضع السياسي الذي كانت عليه الدولة الاسلامية في شبه الجزيرة ، حتى صار لفظ الاندلس اخر الامر قاصراً على مملكة غرناطة الصغيرة ، وهي اخر مملكة اسلامية في اسبانيا وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ايبيريا .^(١)

وتشمل حدود الاندلس ايام الخلافة الاندلسية ، كل البرتغال تقريباً واكثر اسبانيا الحالية وكانت الاندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر ((دويرة)) في الغرب حتى برشلونة في الشرق .مع ارتفاع الى الاعلى في الوسط .^(٢)

وكلمة اندلس اشتقها العرب من كلمة واندلوس هي اسم قبائل الواندال الجرمانية التي اجتاحت اوربا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي الاسباني واعطته اسمها ، ثم جاء العرب وعربوا هذا الاسم الى اندلس وبعد سقوط مملكة غرناطة وانتهاء الحكم الاسلامي في اسبانيا (٨٩٧هـ / ١٤٩٢ م) اطلق الاسبان اسم اندا لوثيا على الولايات الجنوبية الاسبانية ، وهي المنطقة التي تشمل حتى اليوم ولايات قرطبة واشبيلية وغرناطة .^(٣)

(١) - العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ١٧ .

(٢) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩م ، ص ١٤٥ .

(٣) - العبادي ، احمد مختار ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

فتحت الاندلس عام (٩٢ - ٩٥هـ) على عهد الخليفة الاموي الويد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ) فاصبحت ولاية تابعة للخلافة الاموية في بلاد الشام ، ولما سقطت الخلافة الاموية بالمشرق عام (١٣٢هـ) حاول والي الاندلس يوسف الفهري (١٢٩ - ١٣٨هـ) ان يكون اميراً مستقلاً لا يتبع احد بعد سقوط خلافة الامويين ، الا ان وصول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ابا سليمان الملقب بالداخل ، غير الامور وجعل الاندلس امانة اموية بدأ فيها عهد جديد يسمى عصر الامارة الاندلسية (١٣٨ - ٣١٦هـ) وهي امانة وراثية حكمتها الاسرة الاموية (اسرة عبد الرحمن الداخل) وتولاها الابن عن والده ، او الاخ عن اخيه ، او الحفيد عن جده كما هو معروف ^(١).

ويلاحظ ان حكم المسلمين للاندلس دام اكثر من ثمانية قرون ، ولهذا تركوا فيها اثراً مادياً وروحياً وخلقياً واضحة المعالم ولا سيما في الولايات الجنوبية التي استقر فيها العرب حتى اخر ايامهم ، ومن أهم الآثار العربية الباقية في اسبانيا نذكر المسجد الاموي بعقوده المزوجة في قرطبة وهو من اعظم المساجد الاسلامية في العالم ، وقد تظافر على بناء امراء وخلفاء بني امية في الاندلس ، وبجوار قرطبة نجد بقايا مدينة الزهراء التي بناها عبدالرحمن الناصر لتكون مقراً لخلافته الجديدة ^(٢).

ويشير السامرائي ^(٣) واخرون الى عصر الخلافة الاندلسية (٣٠٠ - ٤٢٢هـ) بانه عصر النضوج للعلوم والفكر الاندلسي ، ويقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام :-

- (١) - السامرائي : الدكتور خليل ابراهيم ، الدكتور عبد الواحد ذنون طه ، الدكتور ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٦١ .
- (٢) - العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ١٨ .
- (٣) - تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ٣٢٥

١- فترة الخلافة (٣٠٠ - ٣٦٦هـ) وتولى الحكم فيها الخليفة الناصر (٣٥٠ - ٣٥٠هـ) وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ)

٢- فترة الحجابة (٣٦٦ - ٣٩٩هـ) وهي الفترة التي سيطر فيها الحجاب المنصور واولاده على الخلافة الاندلسية .

٣- فترة الفتنة (٣٩٩ - ٤٢٢هـ) والتي ادت الى قيام عصر الطوائف

فامتلكت الاندلس في عهد الخلافة كل المقومات المؤهلة لان تكون بحق وليدة عصر الخليفة الناصر ، وان تصبح العاصمة قرطبة صورة حقيقية لمظاهر ازدهار وبذخ ذلك العصر ، فقد كانت من اكبر واجمل عواصم العالم انذاك . (١)

وجاء سبب اختياري للبحث (ابرز المظاهر العمرانية في الاندلس في عصر الخلافة) لأن روائع الحضارة العربية في الاندلس وبالاخص المنشآت العمرانية التي تم بناؤها في عصر الخلافة والتي لازالت تحكي قصة الاقتدار العربي الاسلامي على التسابق في هذا الميدان ، يقودنا وباعجاب شديد الى دراستها والاهتمام بها الى حد التباهي وبكل شموخ بتلك الحضارة التي بناها العرب المسلمون . ويحدد الدكتور العبادي (٢) الخلفاء الذين تولوا الحكم في عصر الخلافة وهم كالتالي :

١- الخليفة عبد الرحمن الثالث ، الناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) /

(٩١٢ - ٩١٦م)

٢- الخليفة الحكم الثاني ، المستنصر بالله (٣٥٠ - ٣٦٦هـ) / ٩٦١ -

(٩٧٦م)

(١) - ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ) ، صورة الارض ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ص ١٠٧ .

(٢) - العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٧٦ - ٧٧

٣- الخليفة هشام الثاني ، المؤيد بالله / والدولة العامرية الحاجب المنصور محمد بن عبد الله بن ابي عامر المعافري (٣٦٦ - ٣٩٢هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٢م)

٤- ولي الحجابة بعد وفاة المنصور ابنه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر سيف الدولة ، واقره الخليفة هشام على ما كان عليه ابوه معه (٣٩٢ - ٣٩٩هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٩م) ثم تولى بعد ذلك اخوه عبد الرحمن الذي سمته العامة شنجول (٣٩٩ - ٤٢٢هـ / ١٠٠٩ - ١٠٣١م)

وقد قسمت البحث الى ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول مدينة قرطبة والقصر الخلفي ومسجد قرطبة الجامع اما المبحث الثاني تناولت فيه مدينة الزهراء وقصرها والمسجد الذي بنى فيها اما المبحث الثالث فتناولت فيه مدينة الزاهرة وقصرها والمبحث الرابع تناولت فيه مدينة المرية .

وقد اعتمدت في اعداد هذا البحث على امهات الكتب كـ (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للادريسي (ت ٥٦٠هـ) و (البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب) لأبن عذارى المراكشي (ت ٦٩٥هـ) ونفح الطيب في من غصن الاندلس الرطيب للمقري (ت ١٠١٤هـ) والعديد من المراجع الحديثة كـ (في تاريخ المغرب والاندلس) للدكتور احمد مختار العبادي واثار المغرب والاندلس للدكتور طاهر مظفر العميد وتاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس للدكتور خليل ابراهيم السامرائي وآخرون والعديد من المصادر والمراجع الاخرى .

ومن الله التوفيق

مدينة قرطبة

تقع مدينة قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير على سفح جبل العروس^(١) اما اسمها فكلمة قرطبة واعتماداً على المعلومات التي ادلى بها ياقوت الحموي بشأن اصل مدينة قرطبة ان اصل كلمة قرطبة ترجع الى مصدرين اولهما الروماني وثانيهما عربي ، اما معنى الكلمة في اللغة العربية فيقصد بها العدو الشديد وورد في الشعر العربي بيت جاء فيه ذكر الكلمة :

اذ رأني قد اتيت قرطبا وجال في جحاشه وطرطبا

وفي رواية اخرى ان التعبير قرطبة بمعنى صرعه ، وتعني ايضاً ان القرطبا هو السيف كأنه من قرطبة اي قطعة .^(٢)

اما بخصوص ارجاع اصلها الى اللغات القديمة ، فالكلمة اصلها أيبيري قديم مأخوذ من كلمة كوردوبا Cordube او Cordova ، وهي كلمة قديمة تشير الى مدينة قديمة ازلية ، فقد ورد ذكرها اثناء الصراع بين اليونان وقرطاجة حيث اشترك اهالي قرطبة في حملة هانيبال على روما كما انها اصبحت تابعة للامبراطورية الرومانية بحدود سنة ٢٠٦ ق.م^(٣) . فاخذت تجتذب العوائل والاسر الرومانية لما يتوفر فيها من عناصر المناعة و الحصانة وقوة البناء وجمال الطبيعة والموقع الاستراتيجي الجغرافي ، ويبدو ان تطورها صار سريعاً اذ اتسع حجمها

(١) - الادريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، ١٨٦٦م ، ج ٥ ، ص ٥٧٥ .

(٢) - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، ١٩٦٥م ، ٤ اجزاء ، ج ٤ ، ص ٣٢٤ .

(٣) - الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٨٦٦هـ) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٠٧م ، ص ٤٠٦-٤٥٧ .

ومساحتها فاصبحت تتألف من جانبين يفصلهما سور منيع وذلك من اجل عزل خطط ومنازل الاهال عن المنشئات الادارية الحكومية فاستقر الاهالي في الجانب الشرقي في حين صار الجانب الغربي مخصصاً لقصر الحاكم وجنده وقواده والمؤسسات الادارية الاخرى . (١)

وفي رواية اخرى ان اصل كلمة قرطبة قوطي والاصل فيها قرطبة بالضاد وتعني القلوب المختلفة . (٢) فيرجع تاريخ مدينة قرطبة الى فترات تاريخية قديمة جداً ، وعندما وصلها العرب الفاتحون بقيادة مغيث الرومي مولى الخليفة وليد بن عبد الملك في سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م

وجدوها مدينة متكاملة يحيط بها سور متين حصين يحتوي على عدة ابواب ، ويحيط بالسور خندقاً يربطه بالسور قنطرة كبيرة مشهورة اما داخل المدينة فقد وجد العرب كنيسة وسكة كبيرة تعرف بالحجة العظمى وكان يقطنها كثير من الناس . على هذا الاساس فان العرب لم يكونوا المؤسسين الاوائل للمدينة . (٣)

فوصفها الادريسي (٤) عند دخول العرب لها انها تنقسم الى قسمين : شرقي وغربي يفصل بينها سور . وكان القسم الشرقي يقوم على جانب من الربرض الشرقي الذي سمي في عصر الفتح والعهد التي تلتها باسم (الشرقية) وكان يشغل ما يعرف بالمدينة العتيقة ، اما القسم الغربي

(١) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٨ م ، ص ١٧

(٢) - المقرئ ، احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠١٤ هـ) ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج ١ ، ص ٤٥٨ .

(٣) - ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٥٣

(٤) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ج ٥ ، ص ٥٧٥

فتشغله القسبة او المدينة الوسطى ، وتقوم فيه مباني الدولة وتكنات الجيش .

ولقرطبة القنطرة التي علت القناطر فخراً في بنائها واتقانها . وعدد قسبها سبع عشر قوساً بين القوس والقوس خمسون شبراً ، وسعة القوس مثل ذلك خمسون شبراً . وسعة ظهرها المعبور عليه ثلاثون شبراً . لها ستائر من كل جهة تستر القامة . وارتفاع القنطرة من موضع المشي الى وجه الماء في ايام جفاف الماء ثلاثون ذراعاً . واذا كان السيل يصل الماء منها الى نحو حلوها . وتحت القنطرة يعترض الوادي رصيف سد مصنوع من الاحجار القبطية والعمد الجافية من الرخام . على هذا السد ثلاثة بيوت أرصاء ، في كل بيت منها اربع مطاحن ^(١) ، ولهذه القنطرة اهمية سوقية حيث تصل جنوبي الاندلس بقرطبة والشمال الافريقي . ^(٢)

ومازالت هذه القنطرة تحتفظ بكثير من معالمها الاندلسية الاسلامية وبقي ريبض المدينة العتيقة الشرقي لقرطبة ، الذي يتألف من مجموعة ارباض المركز العمراني في عهد الخلافة ، وتقوم المدينة الوسطى ، او القسبة العتيقة في القسم الغربي ^(٣) ، وكان يلتف حول القسبة القديمة سور من الحجارة . كما كان قصر مدينة قرطبة يتصل من جانبه الغربي بهذا السور من جهة الجنوب والغرب ، وكان الجامع على مقربة من

(١) - ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي ، (ت ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفسال ، بريل ، ١٩٥١م ، ج ٢ ، ص ٢٦ .

(٢) - عنان ، عبد الله ، دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٣) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص ٤١ .

القصر وإلى الشرق منه يفصل بينهما سباط يسير الناس تحته من المحجة العظمى التي بين الجامع والقصر إلى باب القنطرة . (١)
وكان لسور قرطبة سبعة أبواب هي :- باب القنطرة وتقع في الجنوب . وبابان في الشرق هما باب الحديد وباب عبد الجبار ، وفي الشمال باب ليون ، وفي الغرب ثلاثة أبواب هي باب عامر وباب الجوز وباب اشبيلية . (٢)

وقد دخلها الأمير عبد الرحمن الداخل عام ١٣٨هـ / ٧٥٥ م وبني فيها المسجد الجامع والقصر ، وتوسعت قرطبة العربية إلى الشرق والغرب . كما امتد توسعها نحو الضفة الأخرى لنهر الوادي الكبير . وعمرت الضفة الجنوبية وكان لها ضاحية واسعة لأهل الحرف تسمى ((شقندة)) وتسمى اليوم ((الأسبير يتوسانتو)) وكانت القنطرة تصل قرطبة المدينة بهذه الضاحية الجنوبية . (٣)

واخذت قرطبة في التوسع مع مرور السنين ، حتى بلغت قمة ازدهارها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فكان لقرطبة أهمية كبيرة في تاريخ العربي والمسلمين في الأندلس ، فانها بعد ثلاث سنوات من افتتاح العرب لها اتخذوها في عام ٥٩٧هـ / ٧١٥ م دار للإمارة ثم اتخذوها مركزاً للخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر حيث أسهمت في إرساء حضارة العرب في إسبانيا وأوروبا وعلى امتداد القرون التالية وقد أصبحت في زمن الخلفيتين عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر بالله مركزاً حضارياً من الناحيتين السياسية والاجتماعية فقد اجتذبت إليها العلماء والسفراء والأدباء والتجار والصناع

(١) - الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص ٤٥٨ .

(٢) - المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ١٠ ، ص ٤٦٦

(٣) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ص

من مختلف البلاد وزاد ازدهارها زمن الحاجب المنصور بن ابي عامر فاتصلت العمارة في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث انه كان يمشي فيها بضوء السرج الممتد عشرة اميال (١).

ويذكر المقرئ (٢) ان عدد ارباض قرطبة بلغ واحد وعشرين في القسم الجنوبي منها ربضان والشمالي ثلاثة ارباض والغربي تسعة ارباض والشرقي سبعة ارباض)). يعود الفضل في تنظيم مدينة قرطبة وتجميلها ، وتنظيم شؤون الادارة والحكم فيها الى الامير عبد الرحمن الداخل ، وانشأ في حاضرتة قرطبة روائع المباني والعمائر ، وقامت فيها حركة معمارية لم تشهد لها نظير . من قبل . واتخذت قرطبة منذ ذلك مظهر المدن الكبيرة واصبحت جديرة بان تكون عاصمة للامارة الاموية . (٣)

ويذكر المقرئ : ((انه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة ، فجدد مغانيها ، وشيد مبانيها . وحصنها بالصور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناءه ثم ابتنى مدينة الرصافة منتزهاً له واتخذ بها قصراً حسناً وجناناً واسعة نقل اليها غرائب الغراس ، وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار . (٤)

تمتاز المباني والمنشآت التي اقامها عبد الرحمن الداخل في قرطبة بالطراز المعماري الاموي حيث شرع في بناء القصور اسوة باجداده خلفاء الدولة الاموية ، فبنى المدينة المعروفة بـ (الرصافة) الى الشمال الغربي من قرطبة للنزهة والسكنى ، وذلك في اول سني امارته وكان لقصر الرصافة سور يحيط به وينفتح فيه ابواب . وقد زار امراء

(١) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ١٩٢

(٢) - نفع الطيب في غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ٤٥٨

(٣) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ١٩٣ .

(٤) - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٧٨

الاندلس بعد عبد الرحمن الداخل في عمارة الرصافة وتنافس الشعراء في وصفها وبقيت بعد ذهاب الخلافة منتدى الأدباء وملتقى الشعراء ثم أصبحت عند سقوط مدينة قرطبة مقراً للاباء الفرنسيين وقد تبقى منها اليوم بعض اثار جدران وقاعات وفي جوف هذه الاطلال باب يؤدي الى طريق في باطن الارض يقال انه كان يصل بين قرطبة والرصافة ، وان هذا الطريق يرتاده الامير عبد الرحمن متى شاء لنفسه الراحة بعيداً عن انظار رعيته .^(١)

وكان يفتح في سور قرطبة سبعة ابواب ، كان في عصر الامارة خمسة ابواب ثم أصبحت سبعة منذ عصر عبد الرحمن الناصر حيث عمل هذا الخليفة على تحصين ابواب مدينة قرطبة . فابتنى لها ابواباً داخلية توازيها سنة (٣٠١هـ) لتيسير الدفاع عنها . واتاحة الفرصة للحراس لمضاعفة الحراسة.^(٢)

فأصبحت المدينة تتألف على حد قول الادريسي^(٣) من : ((مدن خمسة يتلو بعضها بعضاً بين المدينة والمدينة سورحاجز . وفي كل مدينة من هذه المدن الخمسة تضم ارباضاً ولم يكن مسوراً من هذه المدن الخمسة اول الامر سوى المدينة الوسطى او القصبة وعندما تعرضت قرطبة لأخطار الحرب الاهلية صنع لها خندق يدور بجميعها وحائط مانع . وكان هذا الخندق يحيط بجميع ارباض قرطبة ومسكنها)).

(١) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ /

ص ٤٨ - ٤٩

(٢) - ابن حوقل ، صورة الارض ، ص ١٠٨ .

(٣) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٢٠٨ .

قصر الخلافة

يقع القصر داخل المدينة وهو في الاصل بناء روماني قديم توارثه الملوك من العصر الروماني حتى الفتح العربي ، ثم اتخذته الولاة منذ ولاية ايوب بن حميد اللخمي قصراً لهم الى ان قامت الدولة الاموية . فوسع فيه امراء بني امية . وشيدوا فيه قاعات جديدة ومجالس وقصور . وتألقوا في تزيينها . وساقوا اليها المياه من جبال قرطبة . واجروها في ساحاته في برك واحواض من رخام ، واطلقوها من تماثيل معدنية تمج الماء من افواهها . (١)

وعندما افتتح مغيث الرومي قرطبة احتل هذا القصر حتى عوضه موسى بن نصير عنه قصراً اخر غربي قرطبة خارج اسوارها على اعتبار ان هذا القصر القديم يصلح لمن يتولى امانة قرطبة ، وبقي هذا القصر مركزاً للولاة ثم استقر فيه عبد الرحمن الداخل وابنتى قصر الامارة حيث اعاد ما تهدم فيه و اضاف اليه اضافات جديدة حتى يكون جديراً بقصر الامارة . (٢)

وكان للقصر عدة ابواب منها في الجانب القبلي : باب السطح المشرف (باب السدة) وقد فتحه الامير عبد الرحمن الاوسط في قرطبة ، ويعتبر احد الابواب الرئيسية بالقصر . وهناك باب اخر في هذا الجانب يقال له باب العدل فتحه الامير عبد الله . واقام الناصر امامه فواره في سنة (٣٠٧هـ) (٣) وقد تهدم في سنة ١٨٢٢ م .

(١) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ٢٠٣

(٢) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٨٤

(٣) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٦١

اما الباب الثالث فيقال له باب الحديد امر المنصور بن ابي عامر بسده بالحجر في سنة ٣٦٦هـ (١) .

اما الجانب الشمالي وفيه بابان هما ١- باب قورية ٢- باب الصناعة وسمي كذلك لقربه من دار الصناعة . اما الجانب الشرقي فيه باب الجامع وهو الباب الذي كان يدخل منه الامراء على الساباط الى المسجد ، اما الجهة الغربية من القصر فلم تكن فيها ابواب وانما كانت كلها بساتين وجنات (٢) .

ظل قصر قرطبة قائماً حتى سنة (١٢٣٦م) وهي السنة التي سقطت فيها قرطبة بأيدي القشتاليين ، فكان قصر قرطبة من نصيب اسقفها ، وعرف منذ ذلك الحين بالقصر الاسقفي ، واصيب هذا القصر باضرار جسيمة على مر العصور ، فقد احرق عدة مرات ، ولم يبق منه في الوقت الحاضر سوى الجدار المقابل لجدار الجامع وقسم من جداره الشمالي ، اذ مازالا يحتفظان بنظام البناء في جامع قرطبة نفسه بما في ذلك الركائز التي تدعم الجدران وتدفع عنها الضغوط . (٣)

المسجد الجامع بقرطبة

لم يخلد اثر من الاثار الاسلامية في كتب التاريخ كما خلد المسجد الجامع بقرطبة يقوم جامع قرطبة العظيم فوق منطقة صخرية ، في جنوب غرب قرطبة ، وعلى مقربة من القنطرة العربية المقامة على نهر الوادي الكبير ، وتحيط به الدروب الضيقة من جهاته الاربعة ،

(١) - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩١

(٢) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤

(٣) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ص ٢٠٥ .

وصار اثرًا من اجمل وابدع الاثار الاسلامية الباقية هناك ، رغم انه حوّل الى كنيسة (كاتدرائية) . (١)

لقد بدأ العمل في انشائه سنة (١٧٠هـ / ٧٨٦م) على يد عبد الرحمن الداخل ، وعمد الى جعله اعظم مساجد الاندلس وافخمها ، ويمكن تحديد المراحل التي مر بها المسجد الجامع بست مراحل:

الاولى : المسجد في زمن عبد الرحمن الداخل

الثانية : في عهد الامير هشام

والثالثة : في عهد الامير عبد الرحمن الاوسط

والرابعة : في عهد عبد الرحمن الناصر .

والخامسة : في عهد الخليفة الحكم المستنصر

والسادسة : في عهد الحاجب المنصور بن ابي عامر ، وفي هذا

العهد الاخير اخذ المسجد الجامع بقرطبة صورته النهائية . (٢)

ولكن عبد الرحمن توفي قبل اتمامه ، فآتمه ولده هشام ، وانشأ به منارته الاولى وزاد فيه عبد الرحمن بن الحكم بهوين جديدين من ناحية القبلة وانشأ فيه محمد بن عبد الرحمن مقصورة فخمة ، وفي عهد ولده عبد الله انشئ فيه ممر مسقوف يوصله بالقصر ، وجدد عبد الرحمن الناصر واجهته ، وهدم المنارة القديمة وانشأ مكانها اخرى ، ارفع واضخم ذلك سنة (٣٤٠هـ / ٩٥١م) وهي تحتوي على سلمين احدهما للصعود والآخر للنزول ، وفي اعلاها ثلاث تقاحات ، اثنان من الذهب والثالثة من الفضة ، وكانت مربعة الواجهات ، ولها اربعة عشر شباكاً ذا عقود ، ثم زاد الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر في الجامع

(١) - المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨م ، ص ٢٣٥ .

(٢) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، سلسلة اقرا ، دار المعارف بمصر ١٩٢٨م ، ص ١٦

زيادة كبيرة ، فابتنى المحراب الثالث وعملت له قبة فاخرة كما انشأ الحكم فيه مقصورة جديدة ، لها قبة على الطراز البيزنطي وابتنى الى جانبه داراً للصدقة واخرى للوعاظ وعمال المسجد ، ثم زاد المنصور بن ابي عامر الحاجب فيه زيادة كبيرة من ناحيته الشرقية ضاعفت من حجمه تقريباً ، فبلغ طوله (٢٨٠) متراً وعرضه (١٣٥) متراً^(١) .

وسنأتي على ذكر المراحل التي مربها المسجد الجامع بقرطبة في عصر الخلافة بالتفصيل :-

كانت الصومعة القديمة التي بناها هشام قد تصدعت ، فأمر سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م ببناء صومعة عظيمة تتفق وجمال الخلافة ، وشرع الخليفة في بنائها بعد ان هدم السور الشمالي للمسجد في نفس الوقت الذي هدم فيه صومعة هشام ، ومد السقيفتين الجانبيتين شرقي وغربي الصحن واوصل طرفيهما الشماليين بسقيفة شمالية ، بحيث احدث ما يشبه فناء الكنائس تحيط به البوائك من جهاته الاربع ، واتم بناء الصومعة الجديدة في ثلاثة عشر شهراً ، وكانت الصومعة الاولى ذات مطلع واحد فصير الناصر لصومعته مطلعين ، وفصل بينهما بالبناء فلا يلتقى الراقون فيها الا بأعلاها . وكان لكل مطلع منها مائة وسبع ادراج ، ونصب في اعلى الصومعة سفوداً ركبت فيه ثلاث تقافيح تغشى النواظر بشعاعها وتتخطف الابصار ببريقها : السفلى والعليا مفروغتان من الذهب والوسطى من الفضة ، وفوق كل تفاحة منها سوسانة مسدسة من الذهب المحض ، وكان ارتفاع كل تفاحة ثلاثة اذرع ونصف ، وكان طول كل جانب من قاعدتها المربعة ٨.٤٨ م

(١) - عنان ، محمد عبد الله ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مصر ،

وكان نظام بنائها على اساس كتلتين من الحجارة موضوعتين بعرضهما بين كتلة طويلة طولها ١.٥٠ × ٠.٧٠ م .^(١)

ويشير ابن الخطيب ان الناصر : ((زاد في المسجد الاعظم الزيادة الهائلة وبنى المنار الاعظم بقرطبة))^(٢)

وقد استطاع مهندس جامع قرطبة دون فيليث هرنانديث ان يكشف عن جدران الصومعة الاسلامية كما كانت في العهد الاسلامي ، وهو التصميم الفريد الذي نشهد فيه نظام الدرج المزدوج ، ولم يتبق من المئذنة سوى جزء ارتفاعه ٢٢ متراً بينما حفظ من الدعيمتين المركزيتين ما يبلغ ٢٦ متراً . وكانت اسقف الادراج تتألف من قبوات صغيرة مربعة متعارضة متصلة فيما بينها ولكنها تتدرج في الارتفاع كلما ارتفعنا ، وكان يفصل بين كل مجموعة والاخرى عقود متجاوزة بارزة ، وكانت القبوات مجصصة مدهونة باللونين الابيض والاحمر تزينها زخارف هندسية . وكان الجدار المطل على بيت الصلاة يزدان بثلاثة صفوف من النوافذ المزدوجة في حين كانت تزدان الجدران الاخرى بصفين من نوافذ ثلاثية الفتحات تحيطها عقود متجاوزة . وكان يعلو جدران الصومعة افريز من عقود صماء قائمة على عمد صغيرة ويكلل الصومعة شرفات مسننة .^(٣)

(١) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٣٣٧ .

(٢) - لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني (ت ٧٧٦هـ) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي

والاستاذ ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م ، ص ٣٨

(٣) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

ان الاثر الذي تركه فن العمارة الاسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي احيطت به من قبل عبد الرحمن الناصر انعكس في اتخاذ مئذنة الناصر انموذجاً للمآذن الاندلسية المغربية .^(١)

ويتسع الوصف للصومعة والمئذنة مترجماً اعجاب الكثير قديماً وحديثاً فيقول الادريسي^(٢) في معرض وصفه ((وبالوجه الاربعه الدائرة للصومعة صفات من قبس دائرة على عمد من الرخام الحسن ، وقد احصى الادريسي اعمدة المئذنة فقال : ان عددها من الداخل والخارج بلغ ثلاثمائة عمود بين صغير وكبير)).

ولم تقتصر اعمال عبد الرحمن الناصر على اعادة بناء الصومعة والمئذنة بل تجاوزهما الى اعمال الاصلاح والترميم ، ومن هذه الاعمال قيامه بترميم جدار واجهة بيت الصلاة الذي تصدع بسبب الدفع المستمر الذي تقوم به العقود فقام بترميمه ، وبنى واجهة اخرى ملتصقة بالجدار القديم ، واصلح باب سن استيبان واقام عليه ظلة تتكئ على مساند ملفوفة من نفس نوع مساند واجهة بيت الصلاة . وعلى هذه الواجهة بجوار المدخل الى البلاط الاوسط نقش تاريخي فيه ((بسملة ... امر عبد الله عبد الرحمن امير المؤمنين الناصر لدين الله اطل الله بقاه ببنيان هذا الوجه واحكام اتقانه تعظيماً لشعائر الله ومحافظة على حرم بيوته التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، ولما دعاه على ذلك من تقبل عظيم الاجر وجزيل الذخر مع بقاء شرف الاثر وحسن الذكر فتم ذلك بعون الله في شهر ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة على يدي مولاه ووزيره وصاحب مبانيه عبد الله بن بدر . عمل سعيد بن ايوب)).^(٣)

(١) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٠

(٢) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ١٠ - ١٢

(٣) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣١ - ٣٢

ومع ازدياد سكان قرطبة زيادة كبيرة في عصر الناصر حتى ضاقت المدينة بمن وفد إليها من المسلمين ، ولم يعد بيت الصلاة في جامع قرطبة يتسع لمجموع المصلين في أيام الجمع ، مما حمل الحكم بن المستنصر على التفكير في الزيادة فيه فافتتح خلافته في رمضان عام (٣٥٠هـ) بالنظر في توسيع بيت الصلاة بالجامع وعهد إلى حاجبه جعفر بن عبد الرحمن في اليوم التالي لبيعته بمهمة الإشراف على احضار الاحجار من جبل قرطبة للزيادة المذكورة ، وخرج بنفسه لتقدير الزيادة ودراسة تخطيطها وتفصيل بنائها وامتدت الزيادة نحو الجنوب ، فمدت صفوف الاقواس القديمة جنوباً مسافة ٩٥ ذراعاً (٤٦ متراً تقريباً) .^(١)

واقام على مدخل البلاط الاوسط من هذه الزيادة قبة كبرى مخرمة يبدو ان الغرض منها كان لأدخال الضوء كما اقام قبة اخرى عليه في اسطوان المحراب الجديد عام (٣٥٤هـ) واحاط هذه القبة الاخيرة بقتبين جانبيتين ، وعمد مهندس جامع قرطبة الى رفع سقف البلاط الاوسط عن بقية البلاطات الاخرى ، حيث ان ظاهرة القباب المتعددة فكرة جديدة استحدثها مهندس الحكم .^(٢)

وسجل بناء القاعدة المشبكة لهذه القبة في نقش كتابي يغطي الطرة الكبرى التي تحيط بعقد المحراب ، وفي نفس السنة شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع ، فاجرى الفسيفساء على واجهة المحراب وواجهة العقدين المجاورين له^(٣) .

فزين به وجه المحراب ووجه كل من العقدين اللذين يكتنفانه شرقاً وغرباً وقد سجل ذلك في نقش كوفي يعلو عقد المحراب نصه : ((بسم

(١) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٢) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٣٠

(٣) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٨٨

الله الرحمن الرحيم امر عبد الله الحكم أمير المؤمنين أصلحه الله فوله وحاجبه جعفر بن عبد الرحمن رحمه الله بعمل هذه الفسيفساء في البيت^(١) .

وفي سنة (٣٥٥هـ) امر الحكم بوضع المنبر القديم الى جانب المحراب ونصب في قبلة زيادته مقصورة من الخشب منقوشة الظاهر والباطن ، طولها (٧٥) ذراعاً وعرضها (٢٢) ذراعاً وارتفاعها الى الشرفات (٨) اذرع وجعل لها ثلاثة ابواب بديعة الصنعة عجيبة النقشة.^(٢)

وفي سنة (٣٥٦هـ) اجرى الماء الى سقايات الجامع واقام منبراً عدد درجاته تسع مركباً من ست وثلاثين الف وصلة مصنوعة من اكارم الخشب وجملته القول ان زيادة الحكم زودت الجامع بتناسقه وإيقاع اجزائه وعظمته وذلك باقامته المقصورة وتوزيعها بثلاث قباب وتوسط المحراب واجهة المقصورة بحيث يكتنفه عقدان متمثلان الايمن به مشرع يؤدي الى الساباط والايسر يفضي الى مخزن الجامع .^(٣) واختتم الحكم اعمال البناء ، بانشاء دار للصدقة غربي الجامع ، لتكون معهداً لتوزيع صدقاته ، كما اقام في ساحة الجامع مكاتب لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين .^(٤)

وفي سنة (٣٧٧هـ) شرع المنصور بن ابي عامر في زيادته للجامع في الجهة الشرقية لتعذر الزيادة فيه من الجهة الغربية بسبب قيام القصر الخلافي ، المقابل للجامع وتعذرهما من الجهة القبليّة لقرب جدار القبلة من الوادي ، فضلاً عن الزيادة من هذه الجهة ستؤدي حتماً

(١) - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٨٩

(٢) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٨٨

(٣) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، المساجد والقصور ، ص ٣٤ .

(٤) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٥

الى هدم المحراب العظيم الذي اقامه الحكم بقبابه الثلاث ، اما الجهة الشرقية فقد كانت عامرة بالدور والمستغلات مما اضطر المنصور الى هدم الدور والمنازل القائمة بعد ان عوض اصحابها ثمنها .^(١) استغرقت زيادة المنصور عامين ونصف عام مكلفاً من قبل الخليفة هشام ابن الحكم الذي عينه حاكماً على المدينة ، وراعى المنصور في زيادته ان يسودها نوع من الانسجام والتناسق مع بناء المسجد كله ، وكذلك راعى في زيادته المبالغة في الالتقان دون الاهتمام بالزخرفة .^(٢)

لقد اصبح هذا الجامع الذي وصف بانه اروع امثلة العمارة الاسلامية في العصر الوسيط بمثابة جامعة اسلامية ، تدرس فيه كافة العلوم ويفد اليه الطلاب من مختلف الاقطار ، وصار احد المآثر التي تميزت بها قرطبة ، وكان مصدر فخرها ، وظل هذا المسجد قبلة تهفو اليه قلوب المسلمين من كل مكان ، وظل جامعة اسلامية كبيرة يقصدها طلاب العلم والعلماء حتى اجري عليه ملوك الاسبان وحكامهم التغييرات الكثيرة التي شوهته ، لكنه مع ذلك ظل يحمل حتى اليوم طابع الفن العربي الاسلامي العظيم .^(٣)

ويصف الدكتور^(٤) غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب هذا الجامع بقوله : ((كان جامع قرطبة يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته ، فترى ارتفاع مئذنته اربعين ذراعاً ، وترى قبته الهيفاء تقوم

(١) - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٢٨

(٢) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٧٦ .

(٣) - المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ٢٣٥ .

(٤) - نقله الى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨ م ، دار احياء الكتب

العربية ، القاهرة ، ص ٣٥٢

على روافد من الخشب المحفور وتستند الى ١٠٩٣ من الاعمدة المصنوعة من مختلف الرخام على شكل رقعة الشطرنج فيتألف منها تسعة عشر صحناً واسعاً طويلاً وثمانية وثلاثون صحناً ضيقاً عريضاً وترى في وجهه الجنوبي المقابل للوادي الكبير تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح برونزية عجيبة الصنع خلال الباب المتوسط الذي كان مصفحاً بالواح من الذهب ، وترى كل من وجهه الشرقي الجانبي ووجهه الغربي الجانبي تسعة ابواب مشابهة لتلك الابواب))

وجامع قرطبة اقيم ايام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل الى الكمال ، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من اثارالدورالاول لفن العمارة العربي باسبانية، وتعد منارة لاجيرالدة (لعبة الهواء) الاشبيلية التي اقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصرالاشبيلي من اثار الدورالاول لفن العمارة العربي ، وتعد قصر الحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلاد عنواناً لما انتهى اليه فن العمارة العربي . (١)

ولايزال جامع قرطبة من المباني المهمة مع ما احدثه الاسبان فيه من التلف والفساد ومع تلك الكنيسة الواسعة التي اقاموها فيه لتطهيره ، ومما صنعه الاسبان ان كلسوا زخارف جدره وكتاباتهن ونزعوا منه فسيفساء ارضه وباعوا تحف سقفه الخشبية المحفورة المزوقة ، فيجب على من يرغب في تمثيل ما كان عليه جامع قرطبة ان ينظر الى محرابه الذي اقلت وحده من التخریب . (٢)

(١) - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٤٩

(٢) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، ص ٢٣٠

ويقوم سقف جامع قرطبة على اعمدة ، ويتكون من اجتماع هذه الاعمدة صفوف من الصحن المتوازية المؤدية الى باحته ، وتتقاطع هذه الصحن وصحن اخرى كتقاطع الاضلاع الذي ينشأ عنه زوايا قائمة ، ويتألف من مجموع تلك الاعمدة غابة من الرخام واليصب والغرانيت ، وتعلو تلك الاعمدة اقواس رائعة منضدة مصنوعة على شكل نعل الفرس ، ويؤدي ارتفاع سقف جامع قرطبة الذي لايزيد على عشرة امتار الى تنضد اقواسه وتنوع زخارفه فينشأ عن ذلك منظر مبتكر بديع قلما تجد مثله في مبانٍ اخرى ، واما محرابه فانك لاترى احسن من زخرفه وسنائه في اي اثر قديم او حديث فانه اجمل ما تقع عليه عين بشر . (١)

وبعد توالي التغييرات عليه من قبل الكنيسة اعلن المسجد الجامع بقرطبة اثراً قومياً ففي سنة (١٨٨١م) قام دون ريكاردوف فلاسكت بوسكو مدير مدرسة العمارة بمدريد ، بالاشراف عليه واصلاح مصلى فيلافيتوسا كما اصالح سقف الجامع الخشبية وارضيته القديمة ، وواصل المهندس بوسكو اعمال الترميم ، فاعاد وضع الاسقف الخشبية في البلاط الاوسط بجامع قرطبة ، كما اصالح الابواب الخارجية في زيادة المنصور ، وتم الفراغ من جميع اعمال الترميم في سنة ١٩١٤ م . (٢)

(١) - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٣٥٢

(٢) - سالم ، الدكتور عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ج ١ ، ص

مدينة الزهراء

(ومسجدها وقصرها)

شرع عبد الرحمن الناصر بناء الزهراء في اول يوم من المحرم سنة (٣٢٥هـ) على مذكركه المقرري في نفح الطيب .^(١) وايد معظم مؤرخين هذا التاريخ .^(٢)

تقع الزهراء شمالي غرب قرطبة على بعد سبعة كيلومترات من مركز مدينة قرطبة ، وشيدت على سفح جبل العروس وهو احد الجبال المحيطة بقرطبة ، وكان الطريق القديم الذي يفضي الى الزهراء في عهد الخلافة يخرج من احد ابواب قرطبة الغربية المسمى بباب ((ليون)) وينتهي عند باب ((الجبلة)) في السور الشمالي لمدينة الزهراء .^(٣)

يقول الادريسي في وصف الزهراء^(٤) : ((ومن مدينة قرطبة الى مدينة الزهراء خمسة اميال ، وهي قائمة الذات بأسوارها ورسوم قصورها ، وفيها قوم سكان بأهلهم وذرائعهم وهم قليلون . وهي في ذاتها مدينة عظيمة مدرجة البنية ، مدينة فوق مدينة سطح الثلث الاعلى يوازي على الجزء الاوسط . وسطح الثلث الاوسط يوازي على الثلث الاسفل ، وكل ثلث منها له سور ، فكان الجزء الاعلى منها ، قصورا يقصر الوصف عن صفاتها ، والجزء الاوسط بساتين ،

(١) - ج ٢ ، ص ١٠١

(٢) - الشريف ، الادريسي ، ص ٢١٢ ، ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ٩٥

(٣) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ٢٨٩

(٤) - الادريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٣١٢

وروضات ، والجزء الثالث فيه الديار والجامع وهي الآن خراب وفي حال الذهاب .

واسباب بناء هذه المدينة تتحدد بالدوافع الآتية :- (١)

١-أريد لهذه المدينة ان تكون مقراً للخلافة الجديدة .

٢-الابتعاد عن صخب العاصمة قرطبة بعد ان ضاقت مرافقها نتيجة الزخم السكاني الذي كان يزداد سنوياً .

٣-بناء المدن صفة وصف بها الخلفاء والسلاطين العظماء تخليداً لعصورهم المجيدة .

٤-عرف عن الناصر كلفة بناء القصور والاعتناء بتنميتها وتزينها وصرفه الاموال الكثرة في هذا المجال .

ويروى ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب (٢) . ان اعمدة الرخام في الزهراء بلغت حوالي ٤٣١٣ سارية ، منها ١٠١٣ جلبت من قرطاجة وتونس ، ١٤٠ اهداها اليه ملك الروم في القسطنطينية ، وبقية الاعمدة جلبت من داخل اسبانيا .

وقد عمل في بناء الزهراء جيش من العمال والمهرة اشرف عليهم خيرة المهندسين والمعماريين في ذلك الوقت ، وقامت المدينة على مسطح من الارض طوله من الشرق الى الغرب الفان وسبعمئة ذراع ، وعرضه من القبلة الى الجنوب الف وخمسمئة ذراع ، واستمر البناء فيها نحواً من اربعين سنة وخول الناصر ابنه وولى عهده الحكم المستنصر مهمة الاشراف على البناء ، ولكن على الرغم من ذلك فقد انتقل اليها عبد

(١) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في

الاندلس ، ص ١٧٧ .

(٢) - ج ٢ ، ص ٢٣١

الرحمن الناصر سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م ونقل إليها بيت المال كما نقل إليها نساءه وأولاده وخدمه وحراسه واستقبل فيها السفراء . (١)

وتفيد الآثار الباقية ان مدينة الزهراء كانت تحتل مستطيلاً طوله ١٥٠٠ متراً ، وعرضه ٧٥٠ متراً ، وان المياه كانت تأتيها من اعلى الجبل في قنوات على بعد ثمانين كيلومتراً وقد اقتضى هذا الامر الى نهب الجبل بطريقة هندسية رائعة لاتزال اثارها باقية الى اليوم على شكل عيون في الجبل ، حيث كانت الزهراء مدينة ثلاثية مدرجة على سفح الجبل : القسم الاعلى فيه قصور الخلافة ، والقسم الاوسط عبارة عن بساتين ورياض والقسم الاسفل يحتوي على المسجد ومنازل الخاصة بالحراس ، وكل قسم من هذه الاقسام له سور وابواب . (٢)

اما سبب تسمية المدينة (بالزهراء) فاننا لانجد في النصوص التاريخية ما يشير الى سبب مقنع ومعقول ، ماعدا رواية ذكرها المقرئ : (نقلًا عن بعض شيوخ قرطبة ملخصها بان الخليفة عبد الرحمن الناصر ماتت له سرية وتركته له مالا كثيراً فامر ان يفك به اسرى المسلمين في بلاد الفرنج ، فلما لم يجد اسيراً واحداً طلبت منه جارية التي اسمها زهراء والتي كانت يحبها حباً شديداً ان يبني لها مدينة ويسميتها باسمها ، فبنى هذه المدينة ثم امر ان تنقش صورها على باب المدينة . (٣)

والزهراء تأتيث الازهر وهو اللون الابيض المشرق وكلمة الازهر تعني النير ايضاً ولذلك سمي القمر الازهر . (٤)

(١) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ٥٢٤

(٢) - العبادي ، احمد مختار ، في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٠٦

(٣) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ٦٥

(٤) - ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٦٢

وتتقسم اطلال الزهراء بصفة عامة الى ثلاث مجموعات ، مدرجة من اعلى الى اسفل . وتشمل المجموعة الاولى مواقع القصر الخلفي والمقام الخاص ، وتشمل الثانية فيما يبدو مساكن الحاشية والحرس ، وتشمل المجموعة الثالثة وهي الواقعة اسفل الربوة في بسيط معتدل من الارض ، اربعة افنية كبيرة عالية ، وفيما يظن انها البهو العظيم الذي كان مخصصاً لاستقبال الملوك واكابر السفراء ، وقد تم اكتشاف هذا البهو الذي يعد اعظم ما كشف من اثار الزهراء في سنة (١٩٤٤م) ووجد سائر حطامه وزخارفه مدفوناً تحت الانقاض ، ويعكف الاثريون الاسبان منذ اعوام على اقامة الصرح وتنسيقه ، مما وجد من انقاضه واعمدته وزخارفه ، وقد اقيم في وسطه واصطلاح على تسميته (بهو السفراء) او باسمه التاريخي (المجلس المؤنس) وهو يتكون من اربعة افنية متلاصقة تبلغ واجهتها نحو اربعين متراً ، وقد قسمت من الداخل الى ثلاث اروقة مستطيلة ، يتوسطها رواق رابع ذو عقود من الجانبين ، ويقوم كل فناء منها على خمسة عقود ، وقد ركب على هذه العقود ما وجد بين الاطلال من رؤوس وقواعد رخامية مزخرفة ، وفي وسط الرواق الثالث عقد جميل عال يفضي الى بهو داخلي زين جانباه بالزخارف الرخامية ، ويبلغ طول كل رواق من الاروقة المذكورة نحواً من عشرين متراً ، وعرضه نحو ثمانية امتار ، وقد صنعت العقود كلها على نمط واحد وزينت من اعلاها بما امكن جمعه من قطع الزخارف الرخامية التي وجدت ، وقد شيدت هذه الاروقة على ارتفاع يبلغ نحو عشرة امتار .^(١)

(١) - عنان ، عبد الله ، دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤٤٣

اما المسجد ، فيقع لوحده ما بين الطبقة الثانية والثالثة من المدينة وقد اورد لنا المقرئ ^(١) معلومات كثيرة عنه ، فقد كان يعمل فيه كل يوم الف بناء ومائتا نجار وخمسمائة من الاجراء وسائر الصانع واستتم بنيانه في مدة ثمانية واربعين يوماً فجاء في غاية الاتقان من خمسة ابهاء عجيبة الصنعة وطوله من القبلة الى الجوف حاشي المقصورة ثلاثون ذراعاً وعرض البهو الاوسط من ابهائه من الشرق الى الغرب ثلاث عشر ذراعاً وعرض كل بهو من الابهاء الاربعة المكتتفة له اثنا عشر ذراعاً وطول صحنه المكشوف من القبلة الى الجوف ثلاث واربعون ذراعاً وجميعه مفروش بالرخام الخمرى وفي وسطه نافورة يجري فيها الماء ، فطول هذا المسجد اصبح من القبلة الى الجوف سوى المحراب سبعة وتسعون ذراعاً وعرضه من الشرق الى الغرب تسعة وخمسون ذراعاً وطول صومعته في الهواء اربعون ذراعاً وعرضها عشرة اذرع في مثلها ، وامر الناصر لدين الله باتخاذ منبر يدعى لهذا المسجد فصنع في غاية الحسن ووضع مكانة وحوله مقصورة عجيبة الصنعة ، وكان وضع هذا المنبر في مكانة من هذا المسجد عند اكماله يوم الخميس لسبع بقين من شعبان سنة ٣٢٩ . ^(٢)

اشتغل بالتنقيب في هذا المسجد السيد بافون ، ونشر نتائج ابحاثه التي تناولت مسجد الزهراء بالتفصيل وذكر بأن المسجد يتجه نحو الجنوب الشرقي باتجاه صحيح نحو القبلة ولذلك كان من السهل جداً تحديد مكانة في الفترة الاولى من اعمال التنقيب في مدينة الزهراء وهو مسجد صغير يبلغ طوله ٥٣.٧٤ م وعرضه ٣٤ متر ويتألف من خمسة ابهاء

(١) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ١٠٠

(٢) - نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٦٦

تفتح على صحن مرصوف بالرخام الأحمر الخمرى تتوسطه نافورة ويبلغ ارتفاع مأذنته ١١ متر . (١)

وابتلى الناصر في مدينة الزهراء قصراً عظيماً في جانب من جوانبه ثمانية أبواب مزينة بالذهب والجوهر ، وأقيمت في باحاته وممراته ، التماثيل الجميلة للطيور وبعض الحيوانات ، وهي تقذف المياه من أفواهها في أحواض خاصة لذلك . (٢)

ويسهب غوستاف لوبون في وصف قصر الزهراء بقوله (٣): (كان يزين ذلك القصر ٤٣٠٠ عمود من الرخام الثمين الكامل الصنع ، وكانت رداة مبلطة بقطع من الرخام المنقوش بمهارة على الف شكل ، وكانت حواجز هذه الرداة مغطاة بالمرمر ومزخرفة بالافاريز ذات الألوان الباهرة ، وكانت سقوفه ذات نقوش ذهبية لازوردية متشابكة ، وكانت جسور هذه السقوف وترايبعها الارزية دقيقة متقنة الصنع ، وكان في بعض رداهه عيون عجيبة تصب مياهها الصافية في صهاريج رخامية ذات اشكال متنوعة انيقة ، وكان في ردهة الخليفة عين مصنوعة من الیصب ومزينة باوزة عجيبة من الذهب عملت في القسطنطينية وكان بالقرب من القصر الحدائق العظيمة ذات الاشجار والرياحين ، وكان في وسط هذه الحدائق وعلى مكان مشرف منها قبة الخليفة التي كانت قائمة على اعمدة رخامية بيض ذات تيجان مذهبة ، وكان في وسط هذه القبة حوض كبير من الرخام السماقي مملوء بالزئبق الذي كان يتدفق بشكل عجيب تدفقاً مستمراً فكانت اشعة الشمس تتعكس عليه بما يأخذ بمجامع القلوب ، جلب الرخام الابيض الى

(١) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ٢٩٢

(٢) - المعاضدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ١١٨

(٣) - حضارة العرب ، ص ٣٥٥-٣٥٦

قصر الزهراء من المرية ، والوردي والاخضر من قرطاجة وتونس ، وامر الخليفة بأن تنصب هناك صور ذهبية وحجرية لاثني عشر حيواناً مصنوعة في قرطبة فكانت المياه تتدفق من افواهها على الدوام .

وقد اثبت التتقيات صحة ما ذكره الادريسي ^(١) من الطبقة الاولى العليا من المدينة تشتمل على قصور عظيمة فان ما كشف عنه من المباني الواقعة الى الشرق من منطقة السور الشمالي من المدينة في الطبقة العليا منها هي القصور التي ذكرها الادريسي وعثر على مجموعة من ابنية مستقلة يقع مدخلها بعيداً عن مداخل القصور الواقعة الى الجهة الشرقية وتتفصل عنها بطريق منحدر هذه الابنية هي الدواوين ، وقد شيدت الابنية على ارتفاعات مختلفة ينتهي اعلى ارتفاع لها عند الجدار الغربي من القصر المسمى بالمجلس الغربي .

اما المقرّي ^(٢) فيصف بهاء هذه القصور التي تقع الى الشرق من الدواوين حيث تمتد بخط يجري من الشرق الى الغرب بموازية السور الشمالي للمدينة وتفتح على شارع ضخم مرصف هو (السطح الممرد) .

وما تم اكتشافه من هذه القصور هو المجلس الغربي (المجلس الكبير) سنة ١٩١٠ م ويقع هذا المجلس الى الغرب من القصور التي تفتح على السطح الممرد ويفتح باتجاه الجنوب بخمس ابهاء يتقدمها رواق يبلغ طول هذا المجلس ٣٨.٨٨ متر اما الابهاء الجانبية فاقل عرضاً منها ويبلغ عرض الرواق الوسطى ٦.٩٠ متر كما يبلغ عرض المجلس كله ٢٠.٢ م ويفتح على فناء كبير يبلغ طوله ٥٢.٩٠ متر وعرضه ٣٩.٣٠ متر تفتح الابهاء على الرواق الامامي بخمسة ابواب تغلق كلها بالواح من الخشب

(١) - نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٢١٢ .

(٢) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ١٠٠

ولانتزال الاعقاب التي كانت تدور عليها الابواب موجودة على الارض في محلها ، وقد بلطت ارضيته بقطع من الحجارة الكبيرة الحجم وليس فيه ماهو متخذ من الرخام سوى قواعد الاعمدة والتيجان . وقد زينت اسافل الجدران بوزرة من الجص الابيض يعلوها شريط احمر اللون. كما ان القصور التي اشارت اليها النصوص التاريخية تقع في الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة ، منها قصر يتكون من عشرة اروقة يعتقد انه قصر الخلافة العظيم . وما زالت بقية القصور بشكل مرتفعات مربعة الشكل تغطيها اليوم البساتين والمزروعات وهي بحاجة الى الكشف . (١)

هذا ماتم اكتشافه من مباني الطبقة الاولى من المدينة اما قصر الخلافة فقد امكن تمييزه ، حيث عثر في التنقيبات على قطع كثيرة من مرمر هذا القصر وبها ثقب فارغة تشير الى تطعيمه بالاحجار الكريمة ، وهو من احسن واهم ابنية المدينة وكان فيه حوض كبير مملوء بالزئبق . (٢)

ومع استمرار اعمال الحفريات في مدينة الزهراء . فقد تم اكتشاف الكثير من معالم المدينة ، ومنها اكتشاف دار الجند سنة (١٩١٢م) وتم تجديده سنة (١٩٤٤م) واكتشاف الجناح الشرقي سنة (١٩٥٤م) والبحيرات سنة (١٩٤٥م) وبدأ العمل بها سنة (١٩٥٤م) ودار الرخام الذي بدأ التنقيب به سنة (١٩٦٤م) ، ثم ممر الجند الشرقي والسباط سنة (١٩٦٤م) ايضا . (٣)

ولم تعمر مدينة الزهراء طويلاً فقد ظلت قصراً للخلافة في عهد الناصر وولده الحكم المستنصر ثم فقدت اهميتها وبريقها السياسي عندما

(١) - العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثار المغرب والاندلس ، ص ٢٩٣

(٢) - المرجع نفسه ، ص ٢٩٤ .

(٣) - العزي ، نجلة اسماعيل ، قصر الزهراء في الاندلس ، بغداد ، ١٩٧٧م ،

سيطر الحاجب المنصور بن ابي عامر على مقاليد الامور وبنى المدينة المعروفة بالزاهرة . (١)

وبعد بناء الزاهرة اخذ شأن الزهراء يقل تدريجياً بعد تاريخ ٣٧٠هـ / ٩٨٠م حتى شملها التهديم ، ففي عام ٤١٥هـ / ١٠٢٤م وفي عهد المستكفي عندما تولى العهد سليمان بن هشام بن عبيد الله بن الناصر استؤصلت قصور الناصر . (٢)

ففي ايام المستكفي استئصل بقية قصور جدهم الناصر بالخراب وطمست اعلام قصر الزهراء واقتلع نحاس الابواب ورصاص القنى وغير ذلك من الالات في اواخر حكم المستكفي (٤١٤-٤١٦هـ) فاصبحت بعد هذا التاريخ وفي عهد المعتمد بالذات خراباً . (٣)
فكان اخر من زارها الخليفة الموحي المهدي ابو يعقوب المنصور حيث مر بها في عام ٥٨٦هـ / ١١٩٠م . فأمر بأن يرفع التمثال عن باب المدينة . (٤)

ومن اعمال الناصر المعمارية الهامة ، اعادة بناء مدينة سالم ، التي تقع شمالي مدريد بنحو ١٥٣ كيلومتر في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة وهي الان من اعمال مقاطعة سورية . وقد عرفت هذه المدينة قديماً في العصر الروماني باسم اوسيلس ، ولما فتح العرب اسبانيا ، عمر هذه المدينة زعيم مغربي اسمه سالم بن ورمال المصمودي الذي يحتمل ان يكون من قادة الرعيل الاول الذي قام بفتح اسبانيا . ومنذ ذلك الوقت عرفت هذه المدينة باسم هذا القائد سالم . ويبدو ان الفتن التي

(١) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٧٨ .

(٢) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٢

(٣) - العزي ، قصر الزهراء في الاندلس ، ص ٤٠ - ٤١

(٤) - ابن عذاري ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

حلت بالأندلس في أيام الأمير عبد الله الأموي ، قد خربت هذه المدينة ، اذ انه لما ولي عبد الرحمن الناصر اعاد بناءها وجعلها ثغراً حربياً لمواجهة امارة قشتالة الناشئة واشرف على بنائها مولاه غالب وغيره من قواد الثغور ، فنقلوا اليها البنائين والالات وبنيت احسن بناء ، واصبحت مدينة سالم منذ ذلك الوقت قاعدة للثغر الاوسط الى جانب طليطلة قاعدة الثغر الادنى وسرقسطة قاعدة الثغر الاعلى^(١).

مدينة الزاهرة

اقتفى المنصور ابن ابي عامر اثر الخليفة عبد الرحمن الناصر عندما شرع في بناء مدينة خاصة به سنة ٣٦٨هـ - ٩٧٨م اتخذت اسم الزاهرة ، نظراً لتأثره بنشاطه العمراني واهتمامه بهذا الجانب فاكتمل البناء سنة ٣٧٠هـ - ٩٨٠م .^(٢)

تعد مدينة الزاهرة في الأندلس مجموعة المدن المرحلية المؤقتة التي انبثقت من المدينة الام قرطبة ، كما ان الاسباب والدوافع التي ساعدت على ظهور هذه المدينة شبيهة بالدوافع التي ادت الى ظهور مدينة الزاهرة مركزاً للخلافة في قرطبة .^(٣)

وهي تقابل مدينة الزاهرة التي بناها عبد الرحمن الناصر في شمال غرب قرطبة ولقد اندرست هذه المدينة الزاهرة بعد مدة قصيرة من بنائها خلال الثورات التي قامت ضد ولده عبد الرحمن بن المنصور المعروف بشنجل سنة (٣٩٩هـ)^(٤).

(١) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢١٣ - ٢١٤ .

(٢) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ١١٢

(٣) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥

(٤) - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

فقد تأسست هذه المدينة كمدينة قصر لتحتل محل مدينة الزهراء قصر الخليفة الشرعي في الاندلس ، حيث اراد ابن ابي عامر ان ينافس وبضاهاي الخليفة الناصر لدين الله ويؤكد للعامه من اهل الاندلس ، انه لا يقل نفوذاً او سلطاناً عن الخليفة الحكم المستنصر والناصر، كما ان الظروف والاحوال السياسية والادارية والعسكرية كانت لصالحه وساعدته على تثبيت نفوذه وسلطانه وبالتالي سلب السلطة الشرعية للخليفة الصغير هشام المؤيد .^(١)

ويشير ابن عذارى المراكشي^(٢) الى الاسباب التي من اجلها انشأ المنصور ابن ابي عامر مدينة الزاهرة ((اراد ان يجري في ذلك على نسق المتغلبين على سلطان بني العباس في الشرق من امراء الديلم ، فبدأ يسلك الدولة على قلبه وطبعها بطابعه)).

وعلى الحميري سبب بناء مدينة الزاهرة فذكر ان المنصور محمد بن ابي عامر اراد ان يتشبه بالملوك في اتخاذ الحواضر ومراكز الحكم .^(٣) كما ان هناك دافعاً سياسياً دفع المنصور بن ابي عامر الى اتخاذ مدينة الزاهرة بالقرب من المدينة الام قرطبة لكونها تقع في الجانب الشرقي من نهر قرطبة (الوادي الكبير) ، وبهذا تتضح اهميتها السياسية نظراً لموقعها ازاء عاصمة الخلافة القديمة قرطبة ، والعاصمة الجديدة الزهراء .^(٤)

وانتقل المنصور محمد بن ابي عامر الى المدينة الزاهرة سنة ٣٧٠هـ / ٩٨٠م بحاشيته وخاصة من الحرس ، وحجز الخليفة هشام

(١) - الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار، ص ٣٨٤

(٢) - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢

(٣) - الروض المعطار في خبر الاقطار ، ص ٢٨٢ .

(٤) - ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن الاسلامية ، جامعة البصرة ، ١٩٨٦م ، ص ٣٨٧ .

المؤيد في مدينة الزهراء ، ووضع في مدينة الزاهرة اسلحته وامواله واتخذ فيها الدواوين واقطع ماحولها لوزرائه وكتابه وقواده واقام فيها الاسواق حتى تنافس الناس بالنزول فيها .^(١)

ووصفت هذه المدينة ، باتساع حركة العمران فيها وروعة البناء وكثرة القصور والمنتزهات التي احيطت بها ، وقد اشار ابن عذاري^(٢) الى ذلك بقوله : ((ارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالمشيدات الباهرة ، حيث اقامها بطرق البلد على نهر قرطبة الاعظم)).
واورد ابن عذاري^(٣) معلومات غير مفصلة عن القصور والدور التي احيطت بالقصر الجديد (قصر الزاهرة) حيث عرفت بانها باهرة كقصر ناصح وقصر زاهي ، ومن اشهرها قصر العامرية واحياناً يطلق عليه دار العامرية التي اصبحت من اهم ضواحي المدينة ومنية من منياتها ، اتخذها دوراً للمباهاة والفخامة ، حيث تقع على نهر قرطبة الملتوي (الوادي الكبير) ومن الدور المهمة الاخرى التي يشار اليها في مدينة الزاهرة (دار السرور) وهي احدى منيات المنصور ذات الشرفات العالية والقائمة على اعمدة من الرخام ، كذلك توسع المنصور بن ابي عامر في بنائه لدار الرصافة)).

ويذكر ابن الخطيب^(٤) : ((بلوغ المدينة من الاتساع والانبساط وبعد الاقطار حتى بلغت ارباضها * احدى وعشرين ربضاً ، كل ربض منها

(١) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٢ ، ص ١١٢

(٢) - البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٣) - المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٥-٣٠٠

(٤) - لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م) ، اعمال

الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكنانى ،

دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م ، ص ٨٠ .

* الربض : مدينة يدخل بها الجامع والسوق .

يعد اكبر مدينة من مدائن الاندلس ففي الجهة الغربية منها تسعة : ربض الرقاقين ، ربض مسجد الكهف ، ربض حوانيت الريحاني ، ربض مسجد الشفاء ، ربض مسجد سرور ، ربض بلاط مغيث ، ربض حمام الالبيري ، ربض السجن القديم ، ربض الروض المحدث ((.

وفي داخل المدينة ثلاثة ارباض هي : ربض الرصافة ، وربض باب اليهود وربض قوات راسة المنسوب الى ام سلمة ، وفي جنوب المدينة اثنان هما : ربض شفندة وربض منية المغيرة ، اما في الجهة الشرقية فهناك ربض منية عبد الله ، وربض فرن بريل وربض فحص الناعور، وربض المدينة وهي القصبة العتيقة وواسطة البلدة وهذا يتفرع الى عدة ارباض يتولاها العرفاء في المحارس كل على حدة .^(١)

ويذكرالمقري^(٢) (عن توسع مدينة الزاهرة واتصالها بمدينتي قرطبة والزهراء لكثرة المباني والعمائر فيشير الى ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء والزاهرة بحيث يمكن للمرء ان يرى الطريق المضاء بسبب امتداد العمائر على طول عشرة اميال).

ولم تعمر مدينة الزاهرة طويلاً فقد كان عمرها رهيناً بعمرالدولة العامرية فما ان قتل عبد الرحمن الملقب بـ (شنجول) حتى عم الخراب عمائر هذه المدينة ونهبت قصورها وانتهت رسومها في الفوضى التي عمت البلاد سنة ٣٩٩هـ .^(٣)

واندثرت بهذا التخريب تلك المدينة اندثاراً يختلف عن ذلك الذي حل بالزهراء اذ عثر على الكثير من قطع المدينة الاخيرة مبعثرة في بلدان اخرى ، وتم التعرف عليها بفضل ما عليها من كتابات ، بينما لم يبق شيء من مآثر الزاهرة سوى حوض من المرمر ، مكسور

(١) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٨٢

(٢) - نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ٤ ، ص ٩٩

(٣) - ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١١٠

وغير كامل ، وصل الى اشبيلية ويحفظ الان في المتحف الوطني بمدريد (١) .

ومن اعمال المنصور بن ابي عامر بناءه قنطرة قرطبة التي بناها على الوادي الكبير ٣٨٩هـ وقنطرة استجه على نهر شنيل وسط الجبال ، فسهلت الطرق الوعرة والشعاب الصعبة ، هذا الى جانب الجباب والسبل لسقي الناس . (٢)

مدينة المرية

من مشهور مدن الاندلس ، وهي على ساحل البحر ، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران ، بناها عبد الرحمن الناصر ، وعظمت في دولة المنصور بن ابي عامر وولى عليها مولاه خيران ، فنسبت القلعة اليه . (٣)

جاءت تسمية المرية من موقعها الجغرافي ومفرده المرية اسم الجبلين ينحصر بينهما خندق معمور وتتربع على احد الجبال قصبة المنطقة المعروفة بالحصانة ، وعلى الجبل الثاني ربض القصبة ويحيط بالمدينة ، وللمدينة ابواب عديدة ، وتشتهر المدينة بكثرة خيراتها ومصادر الرزق. (٤) اسست مدينة المرية في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقد امر ببناءها لغرض اتخاذها مربطاً ومحرساً للسواحل الاندلسية ولتكون خطاً

(١) - السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم واخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ٢٠٢ .

(٢) - ابن عذارى ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٢ ، ص ٢٨٨

(٣) - المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ١٥٣

(٤) - المعاضيدي ، د. خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، ص ٢٤٧ .

دفاعياً عسكرياً يدافع عن تلك السواحل من الاخطار الخارجية لاسيما من النورمان * والفاطميين ^(١)

والمهمة الثانية لمدينة المرية في هذا المجال هي ان تكون محرساً بحرياً لمدينة بجانة القريبة منها ، والتي تبعد عنها مسافة ستة اميال ، ومن ذلك جاءت تسميتها بـ (بحرية بجانة) . ^(٢)

وذلك فهي قاعدة بحرية مهمة لها اختصاصات الدفاع عن السواحل الاندلسية والانباء عن اي خطر قادم من البحر قبل وقوعه ، وتصف المراجع مدينة المرية بانها مدينة متقنة البناء بديعة الشكل لها قصبة عظيمة في رأس جبل ، وقد اشرف على المدينة والقصبة سور متقن

*- النورمان ، او الفيكنج من الامم البحرية العتيقة التي تسكن في البلاد الاسكندنافية ، اي السويد والنرويج ، والدانمارك الحالية ، وكلمة النورمان تعني سكان الشمال ، وكان من طبيعة هؤلاء النورمان حب المغامرة وجوب البحار بحثاً عن الاماكن الضعيفة في الشواطئ لمهاجمتها وسلبها . وتعرضت شواطئ الاندلس الغربية الى هجمات النورمان لأول مرة في اواخر عام (٢٢٩هـ / ٨٤٤م) . العذري ، احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ) - نصوص عن الاندلس ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، ١٩٦٥م ، ص ٩٨ .

(١) - الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م ، ص ٣٠٤ .

* الفاطميين ، اسرة عربية اسست دولة في المغرب الادنى سنة (٩٠٩هـ) ونقلوها الى مصر سنة (٩٦٩م) واستقلوا بها عن الدولة العباسية واتسمت العلاقة بينهم والاندلس بالعداء الشديد وقد حاول كل منهم التوسع على حساب الآخر ، السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم وآخرون ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، ص ١٦٥ .

(٢) - سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثرية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٢م ، ص ٦٩ .

لايستطيع المرء ان يصعد الى قصبتها الا في مشقة وكلفة وهذا السور بناه الخليفة عبد الرحمن الناصر . (١)

ويصف صاحب نفح الطيب في قوله عن مدينة المرية : ((وبها من صنعة الديباج ماتفوق به على سائر البلاد ، وفيها دار الصناعة ، وتشتمل كورتها على معدن الحديد والرخام ، ومن ابوابها باب العقاب عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب المنظر ، ومن خصائص ما عرفت به مدينة المرية احتوائها على ثمانمائة نول لنسج طرز الحرير ، وللحل النفيسة والديباج الفاخر الف نول ، وللاسقلاطون كذلك ، وللثياب الجرجانية كذلك ، للاصفهانية مثل ذلك ، وللعنابي والمعاجر المدهشة والستور المكللة ، ويصنع بها من صنوف الات الحديد والنحاس والزجاج ما لا يوصف ، وفاكهة المرية يقصر عنها الوصف حسناً ، وساحلها افضل السواحل ، وبها قصور الملوك القديمة الغربية العجيبة . (٢)

وعلى ان هناك اسباباً اخرى تقف وراء اقدام الخليفة الناصر الى بناء هذه المدينة يمكن حصرها بما يلي :

١- موقعها على ساحل البحر ، اكسبها خصوصية كبيرة ،

تتعدد عندها الاستخدامات

٢- موقعها بين قلاع ، وحصون عديدة اكسبها قوة وقدرة

قتالية دفاعية .

٣- تمتلك خليجاً واسعاً وعميقاً يمكن من رسو عدد كبير

من السفن اضافة الى هدوء وقلة اضطراب الامواج فيه . (٣)

(١) - مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، نشره اميلو لافونتي اي . انكلترا ،

١٨٦٧م ، (نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثنى - بغداد) ، ص ١٤٣ .

(٢) - المقرئ ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) - د . محمود عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية ، ص ٣٧

ووادي المرية طوله اربعون ميلاً في مثله كلها بساتين بهيجة ،
وجنات نضرة وانهار مطردة ، وطيور مغردة ، ولم يكن في بلاد
الاندلس اكثر مالاً من اهل المرية ولا اعظم متاجر وذخائر، وكان بها
من الحمامات والفنادق نحو الالف وهي بين الجبلين بينهما خندق معمور
، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة بالحصانة ، وعلى الاخر
ربضها والصور محيط بالمدينة والربض ، وغربيها ربض لها اخر يسمى
ربض الحوض ذو فنادق وحمامات وفنادق وصناعات ، وقد استدار بها
من كل جهة حصون مرتفعة واحجار اولية ، وكأنا غربلت ارضها من
التراب ، ولها مدن وضياح عامرة متصلة الانهار .^(١)

(١) - المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ج ١ ، ص ١٥٤

الخاتمة

المنشآت العمرانية تعد قديماً وحديثاً شكلاً متقدماً من أشكال الواجهات الحضارية لأنها تعطي وبشكل عام أكثر من دالة على حيوية أهلها ورخائهم الاقتصادي، فجامع قرطبة أقيم أيام كان الفن العربي في فجره ثم تدرج الفن العربي حتى وصل إلى الكمال، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثامن من الميلاد وبعض المباني في طليطلة من آثار الدور الأولى لفن العمارة العربية في إسبانيا، وتعد منارة منارة لأجيرالدة (لعبة الهواء) الأشبيلية التي أقيمت في القرن الثاني عشر من الميلاد والقصر الأشبيلي من آثار الدور الأوسط لفن العمارة العربية، ويعد قصر الحمراء الغرناطي الذي شيد في القرن الرابع عشر من الميلاد عنواناً لما أنتهى إليه فن العمارة العربية.

إن فن البناء والتعمير يعكس لنا صورة واضحة فيما شيدته العرب من حضارة وعمران تاركاً صداهما في بلاد المغرب الإسلامي، فالآثار التي تركها فن العمارة الإسلامية من خلال الصومعة والتحديث الذي أحيطت به من قبل عبدالرحمن الناصر انعكس في اتخاذ منئذنة الناصر نموذجاً للمئذنة الأندلسية المغربية.

إن نشاط الدولة في المجال العمراني هياً لها أن تبقى شامخة شموخ الحضارة الراسخة إلى يومنا هذا فنراها ماثلة في البناء الحضاري الحديث للأمم والشعوب مما يؤكد أن الخلفاء أرادوا من وراء ذلك تمجيد عصورهم في بناء المنشآت المعمارية كالقصور والمكتبات، تعبيراً عن رفاهية العيش والازدهار الاقتصادي في تلك الحقبة كما أن مشاركة الخلفاء في بناء المسجد الجامع بقرطبة بما فيهم الخليفة عبدالرحمن الناصر ترك بصمات كل خليفة واضحة على ذلك المسجد.

إن مبالغة مؤرخي العرب في وصف هذه القصور وما كانت عليه من الترف والثراء مما لا يصدق العقل والمنطق أكدت صحتها ما أسفرت

عنه الحفريات التي اثبت بشكل قاطع صدق مذهبوا اليه في وصفهم حيث كشفت التنقيبات عن قطع من أجمل ما أبدعه فن النحت في الرخام والجص والحجر في الاندلس.

ان هذا النهوض الذي شهدته بلاد الاندلس لم يكن متيسرا" لولا ظهور الحواضر والمدن مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها حيث أصبحت مراكز مشعة للحضارة العربية الاسلامية .

هذه العمارة الاندلسية تستحق منا الدراسة والاهتمام باعتبارها الاثار المادية القائمة التي تشهد بما احرزته الحضارة الاسلامية في اسبانيا في العصور الوسطى من تفوق على سائر الحضارات الاوربية.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الإدريسي ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، طبعة ليدن ، ١٨٦٦م .
- ٢- الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٨٦٦هـ) ، الروض المعطار في خير الاقطار ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت ، ١٩٥٧م .
- ٣- ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ) ، صورة الارض بيروت ، ١٩٧٩م .
- ٤- ابن الخطيب ، لسان الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٦هـ) ، اعمال الاعلام ، تحقيق وتعليق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكناني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤م .
- ٥- ابن عذاري ، ابو عبد الله محمد المراكشي (ت ٦٩٥هـ) ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، اربعة اجزاء ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بريل ، ١٩٥١م .
- ٦- العذري ، احمد بن انس العذري المعروف بابن الدلائي (ت ٤٧٨هـ) - نصوص عن الاندلس ، تحقيق عبد العزيز الاهواني ، منشورات معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥م .
- ٧- المقري ، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠١٤هـ) - فح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت
- ٨- مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الاندلس ، نشره اميلولا فونتي اي . انكلترا ، ١٨٦٧م ، نسخة مصورة عنها نشرتها مكتبة المثنى - بغداد .
- ٩- ياقوت الحموي ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ) ، معجم البلدان ، طهران ، ١٩٦٥م .

ب - المراجع

- الحجي ، عبد الرحمن علي ، التاريخ الاندلسي من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦م .

- سالم ، الدكتور السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٠٨م
- المساجد والقصور ، سلسلة اقرأ ، دارالمعارف بمصر ، ١٩٥٨م .
- تاريخ مدينة المرية ، قاعدة الاسطول الاندلسي ، مكتبة الابحاث التاريخية والاثرية ، دارالمعارف ، مصر ، ١٩٦٢م .
- السامرائي ، الدكتور خليل ابراهيم ، الدكتور عبد الواحد ذنون طه ، الدكتور ناطق صالح مطلوب ، تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦م .
- العبادي ، الدكتور احمد مختار ، في تاريخ الغرب والاندلس ، دارالنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٨م .
- العميد ، الدكتور طاهر مظفر ، اثارالمغرب والاندلس ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٩٨٩م .
- عنان ، محمد عبد الله ، الاثارالاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مصر ، ١٩٥٦م . دولة الاسلام في الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٩م .
- غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، نقله الى العربية عادل زعيتر ، الطبعة الثانية ، ١٩٤٨م ، داراحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- المعاضيدي ، الدكتور خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الاندلس ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨م .
- ناجي ، الدكتور عبد الجبار ، دراسات في المدن العربية الاسلامية ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦م .

Summary

Establishments Urban is out of date , " and more recently " Hclamottagdma " forms of facades of civilization because they give generally more of a function of the vitality of its people and their economic well , Fjama Cordoba held days was art in the Arab ignited by then included Arab art until it reached perfection , is the Mosque of Cordoba , which was built in the eighth century of birth and some of the buildings in Toledo from the effects of the first round of architecture in the Arab Spain , and is a beacon beacon for Ajiraldh (toy air) Acpeleh erected in the twelfth century of birth and the palace Seville effects of the role of East architecture Arab , is Qasralhmra Granadan which was built in the fourteenth century Almiladenoana of " what happened to the art of Amarharab.

The art of building and construction reflects us a clear picture as built by the Arabs of civilization and Imran leaving " Saddahma in the Islamic Maghreb , Valather left by Islamic architecture through the silo and the update that surrounded him by Abdulrahman Nasser reflected in Atakazmizna Nasser a model " for Miazna Andalusian Moroccan.

The activities of the State in the field of urban prepared her to stay tall ÔăĈĬ civilization established to this day as we see fresh in the cultural building modern nations and peoples , which confirms that the caliphs wanted from behind the glorification spree in Ibnaoualmncat architectural Kalqsour and libraries , the expression " from the comfort of living and economic prosperity in those as the era post caliphs in the construction of the mosque of Cordoba , including the Caliph Abdul Rahman Nasser Khalifa leave fingerprints all clear that the mosque.

